العرب
الخميس 2019/08/08
السنة 42 العدد 11432

الأديبة الخليجية بين الاستحقاق والتهميش

المرأة أقدر من الرجل دائما على التعبير عن مشاعر الضعف والألم والحزن

السؤال الثقافي لا يزال يسكن المناطق المشغولة بالرجل والمرأة ذاتها، وفي مدى قدرتهما على التعبير عن سؤالهما الوجودي، وقضاياهما الكونية، ومعاركهما الذاتية والعالمية، فهل استطاعت الأديبة في الخليج العربي أن تتجاوز محنة التصنيف والقولبة بين كل ما هو ذكوري وكل ما هو نسوي؟ وهل تجاوزت التجارب النسائية في الخليج موقف الناقد العربي والخليجي منها؟ هذه الأسئلة ذات التكوين الانطباعي عليها أن تخضع لاختباري القراءة والكتابة المستمرتين حتى تتمخّض عنهما ما يمكن أن يشكّل حكما ولو نسبيا.

زكي الصدير
كاتب سعودي

رغم حضور الأديبة الخليجية في مشاهد ثقافية وأدبية ذات اعتبار عربي وعالمي لافت، كان آخره فوز العمانية جوخة الحارثي عن روايتها "سيدات القمر" بجائزة أنترناشونال مان بوكر، إلّا أنه ما زالت هنالك أصوات نقدية عربية وخليجية أيضا لا ترى في أي تجربة من التجارب الشعرية أو الروائية أو القصصية النسائية في الخليج ما يستحق الإشادة والمتابعة.

وتذهب هذه الآراء إلى أن الجيل النسائي الأدبي الجديد يأتي ضمن مشهدية ثقافية سطحية متشابهة، لا يمتلك بصماته الإبداعية الخاصة، ولا تجاربه الذاتية العميقة، فلا مبدعاته يمتلكن حاضنة نضالية أو تجربة سياسية، الأمر الذي يدفع معظم الأديبات حين لا يجدن ما يكتبن عنه -حسب رأيهن- إلى الكتابة في النص الرومانسي العاطفي، وهو نص بارد الحضور، متوقّع النتائج، متشابه بين جيل كبير من التجارب النسائية، سواء في الخليج أو الوطن العربي.

"العرب" في هذا الاستطلاع تقف على رأي شريحة من الكاتبات الخليجيات في هذا الشأن.

نميمة هشّة

بداية، تعتبر الشاعرة السعودية منال العويبيل أنه من الإجحاف الاعتقاد السائد بأنه لا وجود لتجارب شعرية نسائية في الخليج، وأن هذا الأمر أصبح يتردد بالتناقل كنميمة هشّة، فمهما تم دحضها تظلّ متداولة بحكم العادة والتقادم. وتوضّح العويبيل بأن هذا الرأي يظلم الأصوات الشعرية التي ساهمت في صنع ثقافة الخليج ومنجَزها الأدبي الرجالي والنسائي على حدّ السواء.

وترى الشاعرة العمانية فاطمة إحسان أن الكتابة عن الهواجس الذاتية لا يقل شأنا عن الكتابة التي تتمركز حول القضايا الوطنية أو القومية أو ما يدعى بالقضايا الكبرى، ففي اعتقادها أن التجربة الذاتية، بثقلها الوجودي والفكري والعاطفي، هي أصدق وأهم ما يمكن التعبير عنه على الإطلاق، عدا عن كونها تتقاطع مع القضايا الخارجية في زوايا حسّاسة بالنسبة للشاعر على نحو مخصوص.

وتضيف "أعتقد أن وظيفة الأدب تتلخص في التنقيب عن الكسور والأجزاء الصغيرة التي تصنع الأثر والمعنى، وفي نحت اللغة وتحويرها لتصبح بديلة عن اللغة ذات النبرة العامة، العالية، والفجّة، التي تغفل أكثر تجاربنا عمقا وحساسية. والتقاط الشعرية مما هو يومي ومعيش يتماهى مع هذا المطلب الإنساني من الأدب عامة والشعر بشكل خاص".

وعن هذا الشأن تتساءل الشاعرة البحرينية سوسن دهنيم "ألا ترى أن الشعراء أيضا يغيّبون الكثير من القضايا في الشعر الحديث، إذا ما تحدثنا عن الخطاب بصيغته المباشرة؟". وتجيب "مع وجود كل هذا الكم من الوسائل الإعلامية التقليدية والحديثة، لم يعد يطلب من الشعر أن يكون نشرة أخبار أو دعوة إلى الإضراب أو تصريح سياسي أو صراخ ثائر. ومع ملاحظة أن القضايا الكونية والأسئلة الوجودية والمواقف الإنسانية عادة ما تكون حاضرة في النص من خلال البسيط اليومي الذي تكتبه القصيدة الحديثة".

وتضيف "القصيدة اليوم تكتب مشاعر قائلها، وأحاسيسه تجاه ما يحدث من حوله، سواء الشخصي أو ما يحدث للقريب أو الغريب. فالشاعر يكتب السعادة والحزن، الحرب والسلم، الانتصار والهزيمة، وهذا لا يزال موجودا في شعر المرأة والرجل على حد سواء. ربما يبدو ذلك جليا عند المرأة باعتبارها أقدر من الرجل على التعبير عن مشاعر الضعف والألم والحزن. وأما بخصوص الشعر العاطفي والرومانسي أو ذلك الذي يتعلق بشؤون القلب الخاصة، فما أكثر الشعراء الذين يتعاطون معه أيضا إذا ما قارناهم بالشاعرات، وأعتقد أن التشابه بين تجارب الشاعرات غير دقيق؛ إذ لا يمكن للغة أن تشبه الأخرى ولا يمكن لنبض أن يكون مثل غيره".

قضايا جوانية

من جانبها تعلّق الشاعرة السعودية رباب إسماعيل بأن "الشعر حاسة أخرى يرصد بها الشاعر اختلاجات روحه في حركة الكون، كما أن باطنه الشغف، لذلك كلما شغفت بشيء ما أو بجانب ما في هذا الكون، فأنت تُعطي تلك الحاسة القدرة على الرؤية والانعكاس. كما يتضاعف الشعر في الأماكن الأكثر توترا والأكثر فقدا لدى الإنسان".

وتضيف "إن الطبيعة الأنثوية للمرأة بشكل عام تجعل هذا التوتر العاطفي الأكثر تجليا في تجربتها. أمّا التشابه فليس مشكلته الموضوع كعاطفة، بل مُعالجة القصيدة وأدواتها من ناحية اللغة وتوليد المعاني. فالرجل أيضا يكتب النص العاطفي وبشكل مكثف. لكنها العاطفة الأكثر جرأة وتجسيدا، والأقل مجازا مقارنة بكتابة المرأة. لكن كل ذلك لن يستمر طويلا، إذ تتجه الحياة، وبالتالي اللغة إلى تخفيف حدّة التمايزات بين نص الشاعرة والشاعر، نحو نص إنساني بالدرجة الأولى. وأؤكد هنا على التخفيف وليس اختفاء التمايز بينهما، إذ أن الاختلاف الطبيعي هو جزء أصيل لديهما لا يمكن ولا ينبغي تجاوزه".

ترفض الشاعرة العمانية بدرية الملاك هذا الاتهام للنص الأدبي النسائي الخليجي، وترى أن "كثيرا ما يتم حصر الشاعرة العربية تحديدا تحت إطار الوجود الرومانسي، وهي ملاحظة منصفة -إن صدقنا القول- لعدة أسباب، أهمها وجود تمركز ذكوري على القضايا الأخرى، ولكون هذه القضايا عند المجتمعات الشرقية من العيب والمحرمات، أحيانا، أن تتحدث فيها الشاعرات؛ لكون التصوّر العام عن المرأة العربية أنها "عاطفية، ناقصة وخجولة. ولذا كانت الرومانسية المنفذ والمنقذ لهذه الشاعرة للتنفيس قليلا. ومن هنا نرفع القبعة لأولئك النسوة المتمردات على الطرح الذي تجرّأ على تلك الأفكار المجحفة في حق الشاعرات؛ فالشعر هو متنفس ورسالة، وليس محض دعاية رومانسية".

وتضيف الملاك "حقيقة إن الحكم يتطلب دراسات ومعاينات مبنية على ما يسمى وقائع مؤكدة، حيث إنني حسبما أرى هناك من يتبنى القضايا الكبيرة قومية كانت أو وطنية، وذلك حسب قراءته العميقة للوجود من حوله، وهناك من يراه عكس ذلك. ولكنه ليس بالأمر الجلل؛ ففي النهاية الشعر كيفما تشعر، وكيفما ينبع من داخلك الصدق، فهو ليس طلبية من مطعم معين! وكان قمع الحريات وتقييدها سببا في تراجع الكثيرين عن الحديث ولو على سبيل الشعر؛ فكم من قصيدة رمت بصاحبها إلى الهاوية، فنحن اليوم بحاجة إلى محام عن كل سطر نكتبه".

وتذهب الشاعرة البحرينية منى الصفار إلى القول إن النص الجديد هو نص الذاتية بامتياز، ولا ترى في ذلك ما يضره؛ ابتعاده عن القضايا القومية والوطنية الكبيرة، واهتمامه بشكل مباشر بكل ما هو مشخصن ضمن تجربة الشاعر أو الشاعرة في حدودهما اليومية.

وتقول "الشعر يتناسب ورتم (إيقاع) العالم في الفترة التي يكتب فيها، نحن الآن أكثر اتصالا بأنفسنا، لذلك من المنطقي أن يكون النص في هذه الفترة يشبهنا، فرغم أننا نتواصل مع الآخر بطريقة أسهل، إلّا أن هذه السهولة في التواصل جعلت الإنسان أكثر اتصالا بذاته، القضية الكبرى هي الإنسان ومن الإنسان تولد بقية القضايا، لذلك لا أجد أن شخصنة النص تسرق من النص بقدر ما تضيف إليه".

وتختم "الوطن والقومية هي ما يولد من الإنسان ولا ما يحيط به وحسب، لذلك أجد أن الإغراق في اليومي والإغراق في الذات والحديث عن القضايا الجوانية لا يمكن أن يفصلنا كل ذلك بشكل قاطع عن القضايا الكبيرة، القضايا التي من المفترض أن تدور في فلك الإنسان لا أن يدور في أفلاكها، وأن يتحدث عنها بصيغة ما يعتمل فيه، ولا ما يحاول تغييره".

القصيدة تكتب مشاعر قائلها (لوحة للفنان حسين مصدق)

فوز العمانية جوخة الحارثي بجائزة أنترناشونال مان بوكر: الشجرة التي تخفي الغاب

فاطمة إحسان

الأدب مهمته التنقيب عن الأجزاء الصغيرة التي تصنع الأثر والمعنى

بدرية الملاك

في النهاية الشعر كيفما تشعر، وكيفما ينبع من داخلك الصدق

منى الصفار

الوطن والقومية هي ما يولد من الإنسان، ولا ما يحيط به وحسب

الفراغ الثقافي يعطل الذات ويقتلها

وارد بدر السالم
كاتب عراقي

نتحدث عن الفراغ بوصفه زمنا ميتا من دون أن يكون لدينا تفسير واف عنه أو الوقوف على مسبباته، ولاسيما عندما نجترئ منه ما يسمى بـ"الفراغ الثقافي" محورا نطالعه بأهمية. فالفراغ الذي نشكو منه ظاهريا هو مجرد وقت ضائع وسائب. ساعاته تمر بطيئة وثقيلة ومشوشة.

وعندما يعجز العقل عن التفكير الإيجابي فإن احتمالات التمرّد العبثي ممكنة جدا، فيتحوّل الفراغ إلى حالة سلبية، عندها يمكن أن نقول إن الفراغ الثقافي هو جزءٌ من تعطيل الذات وقتلها. وهو العامل المساعد في انتشار الجهل وعدم الضبط الاجتماعي وشيوع الجريمة والمحرمات المتعددة التي تكسر روح المجتمع في أي مكان.

إذا كان الفراغ بالمفهوم الفيزيائي حيزا من الفضاء فارغا من المادة؛ فإن الفراغ الثقافي كمكان اعتباري يُعد أيضا فارغا من المحتوى والمضمون، سوى من شكل مطاطي اعتدنا عليه بوجود فراغات فيزيا- ثقافية لا تستطيع أن تضمن صيرورة الحياة من جانبها المعرفي، ما دام الفرد المعطّل مُنحصرا في زاوية سلبية من الحياة وغير مُوجّه فكريا ومعرفيا، والفرد هو جزء من التشكيل المجتمعي العام الذي تسري فيه الروح ذاتها، وبالتالي فإن الفراغ الثقافي وعندما يكون مهيمنا اجتماعيا تكون هناك مشكلات نفسية عامة تخلق الكثير من فرص التمرد وخرق النظام العام وهيكليته الشخصية.

نقرأ؛ على سبيل الفيزياء؛ أنه عندما يكون الفراغ الكوني مكانا خاليا من أي مادة وواجبه حماية الكون كله من أي انفصال، فإنّ الفراغ الثقافي كمكان؛ والذي لم تُملأ ذاكرته بمزايا معرفية صحيحة، أو تُرك لأسباب الجهل وتفشي سلطة جاهلة وفاسدة؛ سيقود إلى الانفصال التدريجي من نسيج المجتمع ويؤدي إلى مخاطر جمّة وانفصالات مؤكدة، فالثقافة هي الحضارة الشخصية للمجتمعات على أيّ حال.

لذلك وعلى مدى قرون طويلة ناقش الفلاسفة موضوعة الفراغ من الجوانب كلها، حتى قال سبينوزا "الطبيعة ترتعب من الفراغ"، وهذا يعني أن الفراغ الهائل الذي يحيط بنا يحتاج إلى عقول كبيرة تستفيد من هذه الكتل الشاسعة في الكون وتملأه بالطاقات الخلاقة والتوصيفات الجمالية التي تستفيد منها الإنسانية، لكننا معنيون بالمعنى الثقافي على قدر مباشر؛ وهذا يحيلنا إلى أكثر من معنى وتأويل في ما نحن بصدده من معاينة مباشرة لمشكلات الفراغ الثقافي الذي نعاني منه كمجموعات اجتماعية لنا إرث وحضارة وثقافة ومعارف وعلوم كثيرة.

لنبسّط الأمر إلى أن فقدان الشروط الإنسانية بشكل عام هي التي تولّد مثل هذا الفراغ؛ فلا يوجد شعب (مثقف) على الكرة الأرضية يمتهن الجريمة والفساد وتتسيّد عليه ميليشيات خارجة عن القانون ويعيش تحت خط الفقر وتتكاثر في أوصاله الأمراض وتنتشر فيه أنواع الأسلحة أو تتحكم بمصائره العشائر الجاهلة.

وفي هذا الصدد يُعد العراق أنموذجا صريحا للفراغ الثقافي بمحصلة النتائج المستخلصة من الحالة العامة لتكون البلاد مفرّغة كليا من جانب حيوي هو الجانب الأخلاقي والإنساني والعلمي، مثلما يمكن أن تكون شعوب أخرى تعاني بسبب حاكم متسلط ودكتاتور مستبد، فمثل هذا الحاكم يشيع الفراغ الثقافي لأنه يوجّه الشعب إلى اتجاه واحد لا غيره تحت سلطة نافذة ووحشية، ويغلق منافذ الآخر حتى لا يطل عليها أحد.

في غياب الثقافة ينشأ فراغ ثقافي عام تستوطنه الخرافات والأساطير الدينية والشعبية ليتجه إلى الخلف بعكس حركة الحياة الماضية إلى الأمام

مثلما تنتهك الحروب إنسانية البشر تحت أغطية وشعارات حزبية وسياسية مرحلية عند شعوب أخرى وجدت نفسها تقاتل حتى من دون أسباب ممكنة. لينشأ فراغ ثقافي عام تستوطنه الخرافات والأساطير الدينية والشعبية ليتجه إلى الخلف بعكس حركة الحياة الماضية إلى الأمام، وتغيب مكوّنات ثقافية أساسية في تنشئة الأجيال، وبالتالي علينا أن نفهم أن الفراغ الثقافي الذي نعاني منه هو فراغ نفسي خطير وليس معلوماتيا بالدرجة الأولى، بفقدان شروط إنسانية كثيرة، فلا القصيدة أو الرواية أو اللوحة قادرة على أن تملأ الحيّز الفيزيائي الجمالي الذي ندور حوله، ولا حتى المعرفة العامة يمكنها من أن تفعل هذا، لذلك فإنّ الجهل الذي يتّسع، يتّسع معه فراغ الثقافة والوعي والتحضّر.

وما انتشار مظاهر السلوك الفردي والجماعي في المجتمع، وانتشار الإرهاب على نطاق أوسع، والدعايات الدينية المتطرفة باسم الإسلام وحتى الهجرات العربية بعد ثورات الربيع، إلّا مظاهر مؤسفة من مظاهر غياب الفراغ الثقافي الذي يجعل الذات متشظية، والجماعة بلا شعور بالوطنية الاجتماعية والسلوكية.

ولهذا نجد أن المجتمعات التي تفتقد إلى الثقافة تفتقد شروط الإنسانية قطعا، فتحوّل الحياة إلى غابة وحشية على طريقة الذبح الإسلامي الداعشية سيئة الصيت. والفارغ من الثقافة ممارس اجتماعي سلبي، خاصة إذا كان تحت راية سلطة ليس في نيتها الإصلاح الاقتصادي والسياسي.

هكذا الأمر في الحياة العامة والخاصة، لكنه يختلف نسبيا في الخيال الإبداعي عندما يعرف المؤلف كيف يملأ (فراغات) روايته أو قصيدته، ويجتهد الفنان في ملء لوحته بالألوان والأفكار، والموسيقار بألحانه ونغماته والراقصة بجسدها والمطرب بصوته.

إسرائيل تجمع أرشيف كافكا وتحتكر نشره على شبكة الإنترنت

القدس – قالت المكتبة الوطنية الإسرائيلية، الأربعاء، إنها حصلت على الجزء الأخير من مجموعة من كتابات فرانز كافكا التي خططت لنشرها على الإنترنت، بعد الفوز في معركة على ملكية جزء من الأعمال الأدبية للروائي اليهودي والمولود في براغ.

وكانت الكتابات بحوزة الأختين إيفا هوف وروث ويسلر اللتين جادلتا بأنهما ورثتاها قانونا عن والدتهما إستر هوف.

وكانت إستر سكرتيرة ماكس برود صديق كافكا وكاتب سيرته والقائم على تنفيذ وصيته، والتي تجاهلت رغبة المؤلف الذي كان يكتب باللغة الألمانية عند وفاته، في حرق جميع أعماله غير المنشورة.

ويشمل الأرشيف ثلاث مسودات لرواية ألفها كافكا بعنوان "تحضيرات لعرس في الريف" وكتاب تمارين كان يستذكر فيه اللغة العبرية ومئات الرسائل الشخصية إلى برود وغيره من الأصدقاء ويوميات كتبها في أسفاره.

ومنذ عام 2008، حصلت المكتبة على سلسلة من الأحكام القانونية التي تمنحها حق ملكية الكتابات بناء على تعليمات واردة في وصية كتبها برود الذي توفي عام 1968.

وقالت المكتبة إنه منذ انتهاء إجراءات المحكمة في عام 2016، كانت تقوم بجمع الكتابات من مواقع في إسرائيل وألمانيا وأخيرا قبل أسبوعين من خزينة في بنك سويسري. وقال ستيفان ليت، أمين العلوم الإنسانية في المكتبة، إن "المجموعة تضمنت رسومات، أجزاء منها معروفة والبعض الآخر ليس كذلك.. ربما هذا هو أحد أهم الأشياء".

وأضاف "ستتم رقمنة جميع كتابات كافكا التي نحتفظ بها الآن لدينا وستكون متاحة للجمهور في جميع أنحاء العالم".

الأرشيف يشمل ثلاث مسودات لرواية ألفها كافكا بعنوان «تحضيرات لعرس في الريف» وكتاب تمارين باللغة العبرية ومئات الرسائل الشخصية

وتوفي كافكا عام 1924 حين كان يبلغ من العمر 40 عاما بداء السل. ومن أشهر أعماله "المحاكمة" (ذا ترايال) و"المسخ" (ذا ميتامورفوسيس) و"القلعة" (ذا كاسل). وغالبا ما يكون أبطال رواياته من ضحايا البيروقراطية الساحقة ويعيشون في عوالم كابوسية.

وختم ستيفان ليت قائلا إنه يأمل في أن يكون جزء من أرشيف كافكا متاحا على الإنترنت بحلول نهاية العام.